Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

أثر الإحالة في اتساق الخطاب الصوفي "روضة التعريف بالحب الشريف" للسان الدين ابن الخطيب أنموذجا

درويش حياة
جامعة وهران –الجزائر
derouichehayet90@gmail.com
ملياني محمد
جامعة وهران –الجزائر
medmel1992@yahoo.fr

Abstract: *In this research, I dealt with the types of reference that Ibn al-Khatib employed in the analysis of "al-Rawdah" texts in which he used a variety of forms of pronouns, relative nouns, and demonstrative pronouns, as they contributed to the cohesion and coherence of his Sufi discourse.*
The reference in "al-Rawdah"discourse was represented in three forms, one of these forms corresponds to both sides of the reference in terms of gender and number, which is the reference to a single word. The second form in which the referent is associated with the nucleus of the verbal combination, or has a relationship with one of its elements, which is a reference to a verbal combination, and the third form in which the referent is associated with textual passages prior or subsequent to it in the discourse, and refers to a broad semantic context rich in meanings that opens the fields of reading and interpretation for the receiver. It is a reference to a passage or passages of text.
In its function within the discourse of " al-Rawdah ", the reference depends on the two elements: the semantic context and the place, because the place refers to the merits of the discourse and is in proportion to its spiritual Sufi terms which carry a lot of explicit and inward occurrences and are coherent with its meanings.
Keywords: *Reference, Sufism Discourse, texts cohesion, Pronouns, demonstrative Pronouns, Relative nouns.*

الملخص: تناولت في هذا البحث أنواع الإحالة (**reference**) التي وظفها ابن الخطيب في نحل نصوص "الروضة"، والتي نوع فيها ما بين الضمائر بمختلف أشكالها والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والتي ساهمت في اتساق خطابه الصوفي وتماسكه.

وقد وردت الإحالة في خطاب "الروضة" على ثلاث أضرب، ضرب يتطابق في طرفا الإحالة جنسا وعددا، وهو الإحالة على لفظ مفرد. وضرب يرتبط فيه المحيل مع نواة المركب اللفظي، أو يكون على علاقة مع أحد عناصره، وهو إحالة على مركب لفظي، وضرب يرتبط فيه المحيل مع مقاطع نصية سابقة أو لاحقة له في الخطاب، ويحيل على سياق دلالي واسع غني بالمعاني التي تفتح مجالات القراءة والتأويل عند المتلقي. وهو إحالة على مقطع أو مقاطع نصية.

وتعتمد الإحالة في عملها داخل خطاب "الروضة" على عنصري السياق الدلالي والمقام، ذلك لأن المقام يحيل على حيثيات الخطاب، ويتناسب مع ألفاظه الصوفية الروحانية، التي تحمل الكثير من المواجيد الظاهرة منها والباطنة، وتنساق في دلالاته.

الكلمات المفتاحية: إحالة، محيل ومحيل إليه، خطاب صوفي، اتساق نصي، ضمائر- أسماء إشارة موصولة.

مقدمة

يعتبر كتاب "روضة التعريف بالحب الشريف" من أفضل ما ألفه لسان الدين بن الخطيب (713هـ-776م) في الخطاب الصوفي، حيث جمع فيه بين رصيد معرفي غني من المعالم والمصطلحات والصور الصوفية والفلسفية في طرائق الوصول إلى الحب الإلهي، ونبذ كل ما يصرف عنه ويشوبه، وبين بناء معماري فريد من نوعه في هيكله الخارجي، جعله شجرة ذات أغصان وأوراق وأزهار وثمار، وعلى ارض صالحة للغرس والانبات.

وقد نحل ابن الخطيب نصوص "الروضة" بالكثير من الصور البيانية، والمحسنات البديعية، جعلها تنساب في سياقات فقراتها انسياب الماء في أحضان الزهور، فأخرج أنساقها من مجرد غرض الإبلاغ، إلى رونق البلاغة، وتماسك الألفاظ واتساق معانيها، وهو القائل في دفات ورقاتها: "... ويسبك عويص العبارة أحسن السبك."(ابن الخطيب، 1969 :245) مشيرا إلى ما سيقدمه قلمه في نسج عباراته العويصة أحسن النسج وأبلغه وأشده تمسكا واتساقا.

وفي هذا الإطار سأحاول استكشاف الخيط الحريري الناعم الذي يربط بين معاني "الروضة" والفاظها، ويجعلها متماسكة ومتناسقة من خلال آلية الإحالة الاتساقية النصية. فما هو الاتساق؟ وما هي الإحالة؟ وما هي أنواع الإحالة الواردة في خطاب "الروضة"؟ وما دورها في اتساق الخطاب الصوفي؟

مفهوم الاتساق

الاتساق (**cohesion**) لغة من الوسق ويقال: الوسق، أي ضم الشيء إلى الشيء ووسقت الشيء: جمعته وحملته. ووسق الليل واتسق، وكل ما أنظم، فقد اتسق. والطريق يأتسق، ويتسق أي ينضم، حكاه الكسائي. واتسق القمر: استوى. واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه... ومنه فالاتساق هو الانتظام وفي التنزيل "فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق")

سورة: الانشقاق. 2006 الآية 16-18.) قال الفراء : وما وسق أي وما جمع وضم" (ابن منظور، 1119م :176.)

وفي متن اللغة: "اتسق، ويتسق، ويأتسق الشيء: انضم وانتظم... واتسقت الإبل: اجتمعت، واتساق القمر امتلأ واستوى ليالي الإبدار، والمتسق من أسماء القمر، ومن كلامهم: "فلان يسوق الوسيقة أي يحسن جمعها وطردها." (أحمد رضا، 1957م :755)

وما يلاحظ على هذه التعاريف أنها تجمع على أن الاتساق هو ضم الشيء وانتظامه، وجمعه واجتماعه، وحسن استواءه وامتلاءه. هذا ولم تختلف المعاجم الغربية عن ذلك، ومما جاء في معجم "أوكسفورد" "Oxford" أن الاتساق هو: "إلصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا..." (OXFORD. New -york. 1989. P:173.) فهو عندهم الالتصاق الذي يوحد بين الشيئين، ويضمهما لبعضهما ويثبتهما بقوة.

أما الاتساق في الاصطلاح فهو: "ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة." (بشير ابرير:3). والتي تحققها أدوات الربط اللغوية والتركيبية في طبيعة خطية أفقية، حيث لا يتسنى فهم الجملة الواحدة إلا من خلال فهم الجمل الأخرى المكونة للنص الواحد والمترابطة بفعل آليات لغوية تقوم بوظيفة مشتركة، تتمثل في ابراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص. والتي يمكن تحديدها حسب هاليداي (Haliday) ورقية حسن (Rokaya- Hassan) إلى خمس علاقات أسرية، وهي الحذف والاستبدال والوصل والتماسك المعجمي (التكرار - التضام) والاحالة.

مفهوم الإحالة

الإحالة لغة مصدر الفعل أحال، يحيل الشيء أي نقله وحوله وغير اتجاهه إلى شيء آخر، ففي القاموس المحيط "حال الشيء وأحال: تحول، وفي الحديث: من أحال دخل الجنة، يريد من أسلم لأنه تحول من الكفر إلى الإسلام." (مجد الدين الفيروزي آبادي. 1952م) والإحالة في معناها العام لا تختلف عن استخدامها الاصطلاحي في الدراسات النصية، ذلك لأن التغير والتحول ونقل الشيء إلى غيره لا يتم إلا في إطار علاقة بينهما، كما أن اللفظ المحيل يحمل معنى

ما يشير إليه، فهو تغير من حيث الجهة كالعودة إلى الوراء أو الانتقال إلى الأمام من خلال علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات أو بين اللفظ وما يحيل إليه." (أحمد عفيفي:10.)

ويعرف مصطلح "الإحالة" في اللغة الإنجليزية بـ "Reference" ويترجمه الدكتور صبحي إبراهيم الفقي في اللغة العربية إلى "المرجعية". (صبحي إبراهيم الفقي:116. 1952م) وتعتبر الإحالة من أهم وسائل التماسك النصي (cohesion)، وأكثرها فاعلية في تشكيل نصيته، لأنها تسبك "العبارات لفظيا دون اهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها، وقد اعتبر "روبرت دي بوجراند" الإحالة من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصية Efficiency، والمقصود منها كما قال: "هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل.""(أحمد عفيفي :7).

ويستعمل الباحثان (براون ويول) مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها. من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويله." (محمد خطابي 1991م: 16-17.) ، ويكون ذلك في النص كشرط من شروط تحقيقها. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر. (أزهر الزناد، 1993م:118.)

وتبنى الإحالة على علاقة معنوية تخضع لقيد دلالي، وهو تطابق الخصائص الدلالية بين المحيل والمحيل عليه، وانعدامه غالبا ما يؤدي بطلان خاصية التماسك. كما أن للمؤلف أو المتكلم الحق في الإحالة على ما يريد وبما يريد "لأن الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخصا ما باستعماله تعبيرا معينا." (براون ويول، 1997م: 36.)

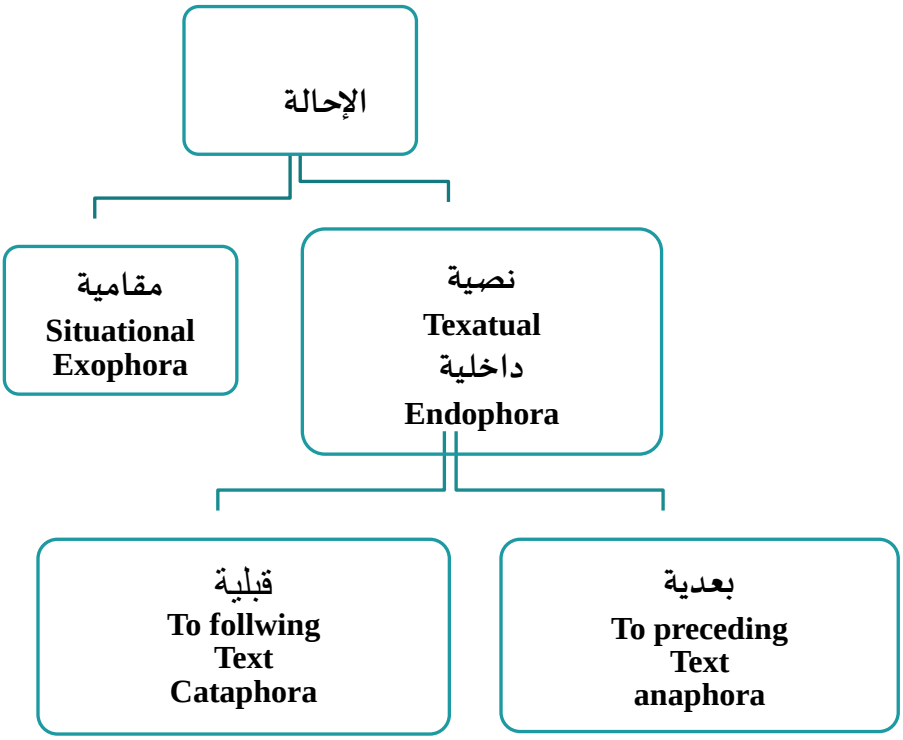
وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين هما:

- **إحالة داخل النص أو (داخل اللغة) Endaphara** وتسمى النصية Textual.
- **الإحالة خارج النص أو (خارج اللغة)** Exophara وتسمى المقامية Situational.

أما الاحالة داخل النص فتنقسم إلى:

- **إحالة على السابق أو إحالة بالعودة وتسمى (قبلية)** Anaphara وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام.

- إحالة على اللاحق وتسمى (بعدية) Cataphora وهي تعود على عنصر إشاري (المحال عليه) مذكور بعدها في النص ولاحق عليها. ويمكن الاستعانة بالشكل التوضيحي التالي كما جاء عند هاليداي ورقية حسن. (أحمد عفيفي، 2001م: 117- 118.)



وفيما يلي دراسة تطبيقية للإحالة في الخطاب الصوفي "روضة التعريف بالحب الشريف" للسان الدين ابن الخطيب أنموذجا. أكشف من خلالها عن الاتساق النصي الذي تسهم به الإحالة في ترابط وتماسك ألفاظ ومعان الخطاب.

تعد الإحالة "**Reference**" علاقة معنوية بين ألفاظ معينة من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو يدل عليها المقام، فهي "علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو المتخيل أو في خطاب سابق أو لاحق." (أحمد المتوكل. 2010م: 73.)

وقد شكلت الإحالة مظهرا من مظاهر الترابط والتجانس لمقاطع "الروضة" بنوعيها الداخلية والخارجية وبآلياتها المتنوعة من ضمائر وأسماء إشارة وأسماء موصولة أحال بها ابن الخطيب على اللفظ المفرد، وعلى المركب اللفظي، وعلى ما فوق ذلك من مستويات نصية.

الإحالة بالضمائر

- **الإحالة بالضمائر المتصلة**

أحال ابن الخطيب في كتاب "الروضة" بالضمائر المتصلة، حيث برزت على مستوى نسيج الخطاب، من ذلك ما جاء في ديباجته والتي استفتحها بالدعاء، فقال:

"اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة، وعلل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة، وسدد إلى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة، واستخدم في تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة، ودل على حضرة قدسك خطرات خواطرنا الذائقة، وابن لنا سبل السعادة التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة، واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة، حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة وأحزابها المنافقة، وأوهامها الطارئة الطارقة، وبرازخها الغاشية الغاسقة، فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة، ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة، ولا الأنوار المغلطة البارقة، ولا العقول المفارقة، يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة." (ابن الخطيب. 1969م :89-90.)

استفتح ابن الخطيب "روضته" بهذا المقطع النصي الدعائي، والذي وظف فيه الضمير المتصل الكاف (ك) والعائد على ضمير المفرد المخاطب (أنت) ليحيل به إحالة قبلية على لفظ الجلالة (اللهم) في مثل قوله: "ذكرك" و"حبك" و"معرفتك" و"حمدك" و"قدسك"، حيث تطابق فيها المحال والمحال عليه من حيث العدد والجنس.

وقد اعتمد في جمله في تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم، إذا ما تعلق الأمر بأشباه الجمل "بريحان ذكرك" و"بجريال حبك" و"إلى أهداف معرفتك" و "في تدوين حمدك" و"على حضرة قدسك"، مضيفا بذلك معان جديدة للمقطع، تتلاءم وسياقه الدلالي الصوفي، وتحدث ترابطا مباشرا بين معانيه، انتقى لها سلسلة من الألفاظ الدالة أخرجها من معانيها المعجمية إلى ما يلاءم سياقها الدعوي الصوفي.

فالمؤلف اجتهد في إحالة ضمير المخاطب (ك) - بعد أن قدمه في ترتيب الجمل على سواء، وربطه بألفاظ تحمل دلالات صوفية – على لفظ الجلالة (اللهم) ففي قوله: "اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة" قدم شبه الجملة "بريحان ذكرك" بغرض ربط طلب الطيب بريحان الذكر، فعملت الإحالة النصية الضميرية على اتساق معان الطلب، من حيث أن "الذكر الحقيقي، هو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك، ومعرفة إفراد الذاكر في بقائك مع ذكره" (ابن الخطيب، 1969م: 296.)

وهذا هو "ريحان الذكر" الذي طلبه المؤلف، ليكون هواء تستنشقه أنفاس الأنفس الذاكرة لله، وهي التي تخص الانسان، وهي صورته وحقيقته وسر الحياة والحركة والإرادة والفكر والروية. (ابن الخطيب، 1969م :135)

وبالأسلوب نفسه أحال في الجملة الثانية، وقدم فيها شبه الجملة "بجريال حبك" حتى يربط طلب التعليل بجريال الحب، وتتسق معاني الجملة الطلبية، حيث أخرج لفظ الحب من معناه الظاهر، إلى معناه الباطن وهو المقام الشريف من مقامات السالكين إلى الله، السائرين في منازل الرياضات أو بأجنحة الجذبة إلى الله. (ابن الخطيب، 1969م: 377- 378) وهو الحب الالاهي الخالص للعابد الذي يسمو بروحه العاشقة من فرط حبه للمعبود واخلاصه.

ويواصل المؤلف في إحالة جزء آخر من المقطع النصي الدعائي باستعمال الضمير المتصل (ك) على اسم الجلالة (اللهم)، وذلك بطلب تسديد نبال النبل الراشقة إلى أهداف معرفته – سبحانه – فقدم شبه الجملة "إلى أهداف معرفتك" ليحيل بها مباشرة ويربط المعاني بعضها ببعض، معتمدا على حمولة معنوية صوفية مودعة في باطن لفظ "معرفتك" والتي أراد بها مقام من مقامات الصوفية، شهير محسوب من الثمرات أو هو الثمرة وقد حاز المحبة. (ابن الخطيب، 1969م :247.) والمقصود من ذلك توجيه العقول إلى معرفة الله وتصديقه في جميع أحواله.

ويحيل في الجملة الرابعة من المقطع النصي الضمير المتصل (ك) على اسم الجلالة (اللهم)، من خلال تقديم شبه الجملة "في تدوين حمدك" وربط طلب الاستخدام لشبا الأقلام الماشقة بالتدوين في حمده سبحانه. فيفهم في سياق الجملة أن المؤلف يطلب التوفيق من الله في تأليف كتابه "الروضة" والذي يعتبره حمدا لله وهو المحمود المثنى عليه صفات الحمد، والمتقرب به يذكر الحمد ويجتنب التجاوز في الكلام ويلتزم القناعة. والعلامة: أن ينقلب كل عناء

راحة وكل ألم نعيما. (ابن الخطيب، 1969م: 318.) بأقلام سريعة نشيطة في مزاولة الكتابة والتأليف.

ويحيل في الجملة التي بعدها الضمير المتصل (ك) على اسم الجلالة (اللهم) مقدما شبه الجملة "على حضرة قدسك" ورابطا طلب دليل خطرات الخواطر الذائقة على حضرة قدسه سبحانه.

فيفهم من سياق الجملة أن المؤلف يطلب من الله أن يطلع نفسه الذائقة أي النفس التي مرت بمقام الذوق، فحصل لها المرور في منازل السالكين إلى حضرة الحق، وهو أبقى من الوجد. ورقته الأولى ذوق التصديق طعم العدة، والثانية ذوق الإرادة، طعم الأنس، فلا يشغل معه شاغل، ولا تكدره تفرقة، والثالثة ذوق الانقطاع، طعم الاتصال وذوق الهمة، طعم الجمع والمسامرة، طعم العيان. (ابن الخطيب، 1969م: 481.)

على مكانة تنزيهه – عن كل وصف يلحقه حس أو ضمير، بعد أن يتقرب به، فتتجلى له حقائق التنزيه. وهو المقصود عند المؤلف بلوغه من الدعاء على العموم. واستعمل الضمير المتصل (نا) والعائد على غير مذكور في المقطع النصي ليحيل به إلى خارج المقطع إحالة مقامية، تفهم من سياق كلامه أنها عائدة على الذات المتكلمة وهي ذات ابن الخطيب نفسه. في مثل قوله: أنفسنا وأرواحنا، ونبلنا وأقلامنا وخواطرنا. وبالرغم من أن الضمير يعود على الجمع المتكلم، إلا أن المؤلف يخص به نفسه من باب تعظيم مقامه، لأنه ذو الوزارتين، القلم والسيف من جهة، ولأنه متصوف، ويرى أن مقام المتصوفة يعلو عن غيرهم من الناس رتبة وعلما عند الله من جهة أخرى.

والملاحظ على الضمائر في هذا المقطع النصي أنها اتسمت بميزتين ساهمتا في تماسك المعاني واتساقها.

أولها: أنها جاءت في شكل متناوب بين ضمير يحيل إحالة نصية داخلية (ك) وضمير يحيل إحالة مقامية خارجية للنص (نا).

وثانيها: ورود الضمائر داخل المقطع النصي محسنا لفظيا، أكسبها تناغما وتواشجا مسجوعا، وذلك من خلال تكرارها في نظام متناوب بين الكاف (ك) والنون ألف (نا) على شكل فواصل فرعية داخل الفاصلة الرئيسية (قة)، وهي ميزة ارتقى بها أسلوب ابن الخطيب في كتابه "الروضة".

- **الإحالة بالضمائر المنفصلة**

استعمل ابن الخطيب الضمائر المنفصلة في ربط معان الروضة ونوع فيها من ذلك ما جاء في الإحالة بضمير المفرد المذكر الغائب "هو" في قوله:

"أن يكون الله سبحانه يحب آثاره، وصنعته، وحكمته، ولا أظهر منها في الانسان، الذي خلقه في أحسن تقويم، وجمع له ما أفرده في غيره، وأحكمه في أعدل المظاهر، وأقبل الصفحات للجمال، بحيث لا عالم وراءه إلا الملائكة. وقال رسوله عنه: "إن الله جميل يحب الجمال" فهو يحب جمال عبده، ومحاسنه المستعارة من نوره." (ابن الخطيب، 1969م :521.)

حيث أحال على اسم الجلالة "الله" الضمير المفرد الغائب "هو" إحالة مباشرة ربط فيها المعنى السابق باللاحق، والذي ضمنه جزء من الحديث النبوي الشريف، ليؤكد فكرة حب الله لجمال عباده الذي هو من جماله، ويضيف لسياق المقطع النصي دعما معنويا، وحجة من السنة النبوية.

فالله يحب جمال عبده الذي هو من صنعه وحكمته، والذي أخذه من جماله المتمثل في نوره، فهو الجميل الذي ليس مثله جميل. وفي الإحالة على ضمير المفرد المؤنث الغائب "هي" قوله:

"الحوقلة: وهي ركن الاعتصام. وفائدتها في الدرجة الأولى: توحيد الأفعال. وفي الثانية: توحيد الصفات بحسب تعلق الأفعال بها، وفي الثالثة: اضمحلال ما سوى الله. وينتج الغنى الذي لا ينفذ. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة" ومعناه: من كان بالله فمدده لا ينقطع من الله أبدا." (ابن الخطيب، 1969م: 306- 307.)

حيث أحال ضمير المفرد الغائب "هي" على لفظ "الحوقلة"، إحالة مباشرة ربط فيها بين لفظ "الحوقلة" وبين ما ورد من معان لها في سياق المقطع النصي، والذي ضمنه حديث شريف نبوي دعم به المعنى وشرحه حين قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة."

حاول من خلالها المؤلف أن يعرف "الحوقلة" التي جعلها ركن الاعتصام بحبل الله من خلال فوائدها الثلاثة المتمثلة في توحيد الأفعال بإسنادها إلى الله، وتوحيد الصفات بإسناد الأفعال إلى أسبابها في عالم الظواهر، واضمحلال كل ما هو غير الله، فيحصل للعبد التوكل الكلي على الله بلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الإحالة بضمير المثنى الغائب قوله:

"من الذائع أن شيئين أبيا إلا أن يخرجا أعناقهما وهما: الدراهم والمحبة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسر سريرة ألبسه الله رداءها." (ابن الخطيب، 1969م: 640.)

حيث أحال المؤلف ضمير المثنى الغائب "هما" على لفظ "شيئين" إحالة مباشرة، أوضح من خلالها أن المحبة تشبه الدراهم في تبديها على صاحبها، أين لا يمكن للمحب أن يخفي محبته، مثلما لا يستطيع مالك الدراهم أن يخفيها، وهذا من خلال علاماتها ودلائلها التي يلبسها الله صاحبها، وقد ضمن المقطع النصي معنى مقتبس من حديث نبوي شريف ليوضح به مراده، ويعزز المعنى المضاف إلى سياق المقطع الدلالي العام.

وفي الإحالة بضمير الجمع الغائب قوله:

"إن العاشقين كاتبوا الله بدموعهم، وهم ينتظرون الجواب." (ابن الخطيب، 1969م:667.)

حيث أحال ضمير الجمع الغائب "هم" على لفظ "العاشقين"، وربط من خلالها جملة "وهم ينتظرون الجواب" بـ "إن العاشقين كاتبوا الله بدموعهم"، فالعشق فرط الحب، وطلب كمال للمتصوف اتجاه ربه، حيث لا يكون للعاشق فيه اختيار ولا تكسب، ولدى جعله المؤلف يكاتب الله بدموعه، كناية عن شدة حبه وشوقه وطمعه في رضاه، وهو الجواب الذي ينتظره كل متصوف عاشق واله بربه.

- **الإحالة على المركب الوصفي**

إذا ما تعلق الأمر بالإحالة على المركب الوصفي، فإن ارتباط الضمير فيه يكون مع نواة المركب نحو قوله:

"من المقرر عند هؤلاء في محاله من موضوعاتهم أن الحق لما أشرق نوره الفياض الذي هو سر الجمال والكمال، ومعنى الوجود والحياة على العالم الكلي، أول ما تلقاه وقبله الذوات العاقلة العارفة، وهم الملائكة المقربون من حضرة الحق، والحافون بقدس الحق." (ابن الخطيب، 1969م: 359.)

وفي هذا المقطع النصي يحيل المؤلف ضمير الجمع الغائب المذكر "هم" على المركب الوصفي "الذوات العاقلة العارفة" إحالة يرتبط فيها الضمير مع نواة المركب معنويا، حيث يكشف لنا المؤلف عن صنف من العشاق والمحبين لله، الذين أشرق عليهم نوره الفياض، فكانوا

أول من تلقى إشعاعه وقبله، وقد وصفهم بالذوات العاقلة العارفة بسر الجمال والكمال، ومعنى الوجود والحياة، وهم الملائكة، من أشرف مخلوقات الله في العالم والمقربون من مكانته وجلاله والحافون بطهارته وبركاته – سبحانه – وقد وردت الجملة الاسمية في مجملها، خالية من أي حركة وانفعال، قدم من خلالها المؤلف نصا تلقينيا لمعلومات حول بداية الخلق، حيث أضافت الإحالة إلى سياق المقطع الدلالي معلومة حدد فيها المؤلف الذوات العاقلة العارفة، وهي الملائكة المقربة من حضرة الحق، والحافة بقدسه، وأول من تلقى نوره الفياض.

- **الإحالة على المركب الاسمي**

أما الإحالة على المركب الاسمي، فإن ارتباط الضمير فيه، يكون متطابقا من حيث العدد والنوع، إلا أننا لا يمكن أن نستند إلى هذا التطابق دائما، بل نحتاج إلى السياق الدلالي للنص لنفهم مع أي عنصر من المركب يتطابق الضمير ومن أمثلة ذلك في الروضة قول المؤلف:
"والكلام في الحمام يطول، وهو من الأغراض المناسبة للعشق والمحركات له." (ابن الخطيب، 1969م:365.)

يحيل ابن الخطيب في هذا النموذج ضمير المفرد الغائب "هو" على المركب الاسمي "الكلام في الحمام يطول" إحالة تطابق فيها الطرفان بعد أن أجرى تعديلا على جملة المركب الاسمي بتأخير الفعل "يطول" وتقدير المركب "الكلام في الحمام" وذلك لغرض ربط الجملتين الواردتين في النموذج اللفظي، وإبراز معناها، فالكلام في عشق الحمام ظاهر في نياحتها وبكائها على فقد حبائبها وحزنها للفراق وندبها على أشكالها واغترابها منفردة، إلى أن تموت من فوق الغصون ضرا وغراما، ولذلك كانت حكايات الحمام في العشق نموذجا مناسبا ومحركا فاعلا للاقتداء عند بني الانسان، حتى قيل إن الحمام علم بني آدم العشق. حيث كشفت عملية الإحالة على علاقة سببية بين طرفيها، ذلك لأن الكلام في عشق الحمام له قصص وحكايات يطول سردها ومنها يستنتج الانسان محركات العشق للاقتداء بها.

- **الإحالة بالضمير المفرد المذكر الغائب هو والضمير المؤنث الغائب "هي" على وحدات لغوية دالة على الجمع**

كما يحيل المؤلف بضمير المفرد المذكر الغائب "هو" وضمير المفرد المؤنث الغائب "هي" على وحدات لغوية دالة على الجمع، وردت في حالتين هما:

- إحالة الضمير المفرد على وحدات لغوية تحمل معنى الجمع ولفظها مفرد، وترتبط معه من حيث الجنس والعدد من مثل قوله: "وأعلم أنه لما كان اسم الانسان يقع على المجموع، من نفس وروح وجسد وهو جملتها، كان للنفس بمنزلة البيت، وإن كانت لا تحل في شيء منه." (ابن الخطيب، 1969م: 156)

ف"اسم انسان" يدل على مركب من نفس وروح وجسد، ولكنه لفظ مفرد في صيغته، وقد أحال المؤلف ضمير المفرد الغائب المذكر "هو" على المركب الاسمي "اسم الانسان" إلا أنه يفهم من سياق المقطع النصي أن الضمير يقيم علاقة الإحالة مع اللفظ "الانسان".
ليربط معنى جملة "اسم الانسان يقع على المجموع من نفس وروح وجسد" – السابقة- بمعنى الجملة اللاحقة له "وهو جملتها"، لغرض تأكيد كلامه الوارد في الجملة الأولى. ثم الانصراف إلى ما يلي ذلك في سياق المقطع النصي من معنى حول علاقة الانسان بالنفس، من حيث كونه بيتا لها وإن كانت لا تحل في شيء منه.

- إحالة الضمير المفرد على وحدات لغوية تحمل معنى الجمع ولفظها جمع، حيث لا تتطابق معه عدديا، وإنما يحث التطابق من حيث الجنس. من مثل قوله:
"ويشتمل على عدة قوى، منها: الحواس الخمس، وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وقوة الخيال، وقوة الفكر، وقوة الحفظ وقوة الصنع، وقوة الوهم، وقوة النزوع." (ابن الخطيب، 1969م: 139)

ففي هذا المقطع النصي يحدثنا المؤلف عن العروق المعدنية للأرض النفسانية التي تغرس فيها شجرة المحبة، وهي قواها، حيث أحال الضمير المتصل "ها" الغائب المفرد المؤنث على لفظ "قوى" وهو لفظ جمع مفرده "قوة" إحالة ربط فيها معنى الجملة الأولى "ويشتمل على عدة قوى" بما يليها من المعاني في الجمل الموالية لها في المقطع النصي، ليكشف لنا عن القوى المشكلة للعروق المعدنية. كما أحال الضمير المفرد الغائب "هو" على المركب الاسمي "الحواس الخمس" وهو يدل على الجمع، فلفظ "الحواس" مفرده "حاسة"، إحالة ربط فيها بين معنى جملة

"الحواس الخمس" بما تتشكل منها من الحواس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وقد جاءت في الجملة بعدها.

نخلص من التحليلين وإلى أن الإحالة لا تحتكم إلى القواعد الصرفية في انشاء علاقتها بين طرفيها (المحيل والمحيل عليه) دائما، بل تستند على المعنى داخل السياق على الأغلب.

ويحيل ابن الخطيب بضمير الجمع المذكر الغائب "هم" على وحدات لغوية تحمل معنى الجمع وتدل عليه، ويتطابق معها من حيث الجنس والعدد مثل قوله:

"والفقراء بدايتهم تجريد ونهايتهم تفريد، والفقير إذا تجرد من الملكات الدنيوية كان في مقام الإسلام، فإذا تجرد من الأخروية كان في مقام الإيمان، فإذا تجرد مما سوى الحق كان في مقام الاحسان." (ابن الخطيب، 1969م: 629)

يخبرنا المؤلف في هذا المقطع النصي عن صنف من المحبين لله، وهم الفقراء الزهاد، الذين تعهدوا على أنفسهم الفقر والعبادة ونبذ التعلق والاهتمام بجميع "العلاقات والممتلكات"، حيث أحال الضمير المتصل "هم" في لفظ "بدايتهم" على لفظ "الفقراء" ليربط بين تجريد الفقراء وبين مراتب التجريد من الممتلكات لبلوغ المقامات. وقد أصدر المؤلف حكما على الفقراء عامة بالتجريد في بدايتهم، وتفريد في نهايتهم، وحكم عاما خص به كل الفقراء، إلا أنه ينتقل من صيغة الجمع (الفقراء) إلى صيغة الافراد (الفقير) ليفصل في حكمه من خلال عرض درجات الجريد وعلاقاتها بالمقامات والتي جعلها كالتالي:

- التجرد من الملكات ⟵ الدنيوية مقام الإسلام.
- التجرد من الملكات ⟵ الأخروية مقام الإيمان.
- التجرد مما ⟵ سوى الحق مقام الاحسان.

في صيغة شرطية (إذا تجرد من ... كان في مقام...)

وكأن بالمؤلف يقول أن ليس كل الفقراء بدايتهم تجريد ونهايتهم تفريد، بل على كل فقير أن يمر بكل التجريدات المذكورة، ويصل إلى كل المقامات المذكورة أيضا، حتى ينال التفرد وهو عنده من مقام الاحسان، وهو التصوف الحق.

- **الإحالة بالضمير على أكثر من جملة (الإحالة الموسعة)**

يمكن للضمير أن يحيل على أكثر من جملة في خطاب "روضة" من ذلك ما جاء في قول المؤلف: "والجمال المقيد أيضا نوعان: جمال كلي، وهو الجمال إلاهي الساري من ذلك الجمال المطلق فيما سوى الله من عقل ونفس وفلك وكوكب وملك وطبيعة وجسم وهيولى وعنصر، ومعدن ونبات وحيوان. قد نال منه كل بقدر احتماله، ولولا ذلك ما بقي وجوده، ولا برزت حقيقته، ولا قامت ذاته، وهو سر الوجود كله، وبه ظهر، ومدده متصل ولو قدر عوقه أو امتناعه زمنا فرضا لم يكن للعالم وجود، ولا فيه موجود." (ابن الخطيب، 1969م: 290- 291)

ومما يتقرر أن الوجود كله ظلمة، لو لا نور الله الذي أشرق عليه، ولا نور إلا نور الله. قال الله سبحانه: "الله نور السماوات والأرض." (سورة النور. الآية: 35.) فليس فيهما نور إلا الله، ونوره القدسي هو سر الوجود، والحياة، والجمال والكمال. (ابن الخطيب، 1969م: 288)

وهو الجمال المطلق الذي يسري منه الجمال الكلي، الذي يعم كافة مخلوقاته في الأرض والسموات، وقد حاز كل منها حسب قدرة احتماله لهذا الجمال الكلي، فأصبح بذلك موجودا وباق وقائما بذاته. وقد أحال المؤلف ضمير المفرد الغائب "هو" على هذه المعاني التي وردت في أكثر من جملة ليربط بينها وبين ما ورد بعد الضمير "هو"، فالجمال الكلي بعد كل ما ذكره المؤلف سابقا – سر الوجود كله، ويتعلق به وجود العالم أو عدمه، وهي إحالة على سياق دلالي موسع أضاف به المؤلف معان جديدة للخطاب.

الإحالة بالأسماء الموصولة

تحيل الأسماء الموصولة بنفس الطرق التي تحيل بها الضمائر في خطاب "الروضة" وتعمل على اتساقه ونظم حركيته، وترتبط مع الضمائر بطريقتين هما:

- يكون الضمير في جملة صلة الموصول، ويحيل على اسم الموصول مباشرة، حيث يرتبط به جنسا وعددا من ذلك ما جاء في قول ابن الخطيب:

"إن المحبة هي المقام الشريف من مقامات السالكين إلى الله، السائرين في منازل الرياضات، أو أجنحة الجذبة إلى الله، وهي أول المقامات وآخرها، فمنذ قلنا: أنها مقام، فالمقام لا شك ينتظم من علم وعمل وحال، كما بينه أهل الحديث فيه. وأن العلم بمنزلة الشجرة، والحال بمنزلة الطعم، والفعل بمنزلة اللب. فالعلم يكسب الحال، والحال يكسب العمل. والعلم الذي يتقدم على المحبة هو ما يدرك من كمال المحبوب.

فإن كان خلق ضمن اعتدال قده، وحسن مزاجه، وصفاء بشرته، وتناسب أعضائه في الانسان، وغير ذلك مما يعد كمالا في المعدنيات والنباتات والحيوانات، إذ لكل موجود كمال يخصه لا يكمل به غيره، فالمستحسن في الفرس غير ما يستحسن في الانسان، وإن كان خالقا فمما يوصل إليه العقل من الاعتبار والاستدلال، وأوصاف الجلال القاهر، والجمال المطلق، والكمال المحض." (ابن الخطيب، 1969م: 318)

يعتبر المؤلف المحبة مقاما شريفا يسلكه المحب إلى الله، وهو أول المقامات وآخرها، وينتظم من علم وعمل وحال. وأن العلم بمكانة الشجرة، والحال بمكانة الطعم، والفعل بمكانة اللب.

ثم ينتقل إلى إعطاء مفهوما للعلم بالنسبة لمقام المحبة من خلال إحالة اسم الموصول المفرد المذكر "الذي" على اللفظ المفرد المذكر "العلم" وإحالة الضمير المفرد المذكر "هو" على الجملة التي تسبقه بما فيها اسم الموصول "الذي"، حيث يحدث كل من الضمير والاسم الموصول إحالة قبلية لمعنى "العلم" وهو ما يدرك من كمال المحبوب، في الانسان والحيوان والنبات كل حسب معايير خلقه، من حسن واعتدال وصفاء وتناسب لأعضائه، وإن كان المحبوب خالقا فمما يوصل إليه العقل من الاعتبار والاستدلال، وأوصاف الجلال القاهر، والجمال المطلق، والكمال المحض.

- يكون الضمير خارج جملة صلة الموصول، ويحيل مع اسم الموصول مشاركة على نفس المحال عليه، إحالة مضاعفة، ويتطابق معه من حيث العدد والجنس من ذلك ما جاء في قول المؤلف:

"واسمه (العفو) وهو الذي يمحو السيئات. والتقرب إليه به بالصفح عن عباد الله وحمل الأذى." (ابن الخطيب، 1969م: 180)

لقد عدى المؤلف الدعوات والأذكار بأسماء الله الحسنى من أسباب المحبة الخالصة له سبحانه، إذ من أراد أن يحب شيئا شغل لسانه بذكره، ثم قصر فكره عليه، وهو السلم إلى الوصول لقربه. "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها." (سورة الأعراف الآية: 180)

وقد أحال على المركب الاسمي "اسمه العفو" الضمير المفرد المذكر الغائب "هو" واسم الموصول المفرد المذكر "الذي" إحالة مشاركة بينهما، تطابقا فيها من حيث العدد

والجنس مع المحيل عليه، قدم فيها المؤلف معنى (العفو) من خلال عملية الربط بين جملتي "يمحو السيئات" و"اسمه العفو" ربطا استبداليا للمعنى بينهما، وكأن المؤلف يجيب عن سؤال، ما معنى اسم العفو؟ فجاء الجواب: هو الذي يمحو السيئات. ثم أدرج بعد ذلك معن لها علاقة بالتقرب بذكر اسم "العفو" حين تتحول إلى خلق يسلكه المحب لله بالعفو عن عباد الله وحمل أذاهم حتى يقع له القرب من الله.

الإحالة بأسماء الإشارة

- **إحالة اسم الإشارة البعيد أو القريب على ما لا يتناسب معه من حيث دلالته المسافية**

تحيل أسماء الإشارة في خطاب "الروضة" على الوحدات اللغوية إحالة قبلية وبعدية، وتستعمل لذلك أسماءها القريبة والبعيدة دون أن تأثر في وظيفة الإحالة الدلالية، أي أن اسم الإشارة – القريب أو البعيد – لا يحيل دائما على ما يتناسب معه من حيث دلالته المسافية ومن أمثلة ذلك قول ابن الخطيب:

"لاسيما الأجناس التي تعادي شجرة الحب بطبعها وتهلكها بجوهرها ولا تستقيم مع مداخلها وجوارها، وهي الرياء والملال والسلو والتبدل والبوح بالأسرار وموجبات الغيرة، واليأس من الوصل.

فهذه العشب المذكورة والحشائش المشهورة أعدى عدو الشجرة وأضرها بهذه الفلاحة، وعلى الفلاح المحقق والغارس الموفق ألا يأمن الفساد من جهاتها، والمضرة من جرائها، وانتكاث العقدة وإخفاق القصد بسببها، ويصرف إلى التحفظ منها همه، وإلى مدافعتها وكده، وإلى الحذر منها عزمه.

أما الرياء فهو شرك يحبط الأعمال، ويوجب اختلال التملك، ويدعو إلى عدم الجد، ويقسم مجتمع البال. وأما الملال، فهو فصم في عروة الوفاء، وقدح في حسن العهد، وشر الأخلاق، وأشأم الشيم. وأما السلو فهو مطفئ سراج المحبة، ومكذب دعوى الهوى، وليل نهار الألفة، ورضيع ثدي الغدر. وأما التبدل، فدليل السخافة، وشاهد مزلة القدم، وعلم نار التلون، وقاطع رحم الحياء. وأما البوح بالأسرار فشاهد ضيق العطن، ودليل حرج الصدر، وعلامة مرض

الصبر. وأما موجبات الغيرة، فنتائج النزق، وثمرات زمانات المروءة، ومصائد بذر الادلال، وولائد سوء العشرة.

وأما اليأس، فحبيب سوء الظن، ومحقق وهيي التماسك، ولزيم الطيش، وعدو الرجاء.

فهذه من جوائح الشجرة علل معروفة بأعيانها، كم أفسدت من عشرة وفرقت بين لحا وقشرة، وكم ملأت الموافد من أغصان كانت ناعمة، وشجرات في الخصب قائمة. يعرف ذلك من بلي بغرس النوى في أرض الهوى وخبر وجو الجوى من حيث اختلاف الرياح والأنوا." (ابن الخطيب، 1969م: 200-202)

يخص المؤلف القسم السادس من كتاب "الروضة" بحديثه حول الجوائح التي تطرق شجرة المحبة وجناها، فلا يحصل المحب إلا على التعب والعناء. وليبرز هذه الجوائح ويفصل فيها، أقام تشبيها تمثيليا بين الجوائح التي تصيب الشجرة من عالم النبات وبين الجوائح التي تصيب شجرة المحبة المباركة. وبعد أن انتهى من سرد جوائح الشجرة النباتية، والتي جعل مصدرها إما من غفلة الفلاح أو أضرار الرياح، ينتقل إلى التفصيل في جوائح الشجرة الحبية، والتي اعتبرها أجناسا تعادها في طبعها واستقامة مداخلها.

وقد استعان في ذلك بأسماء الإشارة القريبة "هذه" والبعيدة "ذلك" دون أن يراعي دلالاتها المسافية، حيث أحال باستعمال اسم الإشارة المفرد المؤنث للقريب "هذه" على عنصر واحد من السياق حين قال: "بهذه الفلاحة". وهو لفظ "الفلاحة"، وأحال أيضا على وحدة لغوية أكبر من سابقاتها في "فهذه العشب المذكورة، والحشائش المشهورة، أعدى عدو الشجرة وأضرها بهذه الفلاحة." كما أحال باسم الإشارة "هذه" على سياق دلالي موسع، حين تكلم في كل جائحة على حدى بدءا بـ"أما الملال" إلى غاية "أما اليأس"، حين قال: "فهذه هي جوائح الشجرة علل معروفة بأعيانها." إحالة قبلية على كل الأجناس.

واستعمل اسم الإشارة المفرد المذكر للبعيد "ذلك" للإحالة على الأضرار التي تلحق الشجرة الحبية من فساد وتفريق، لا يعرفه إلا من كابده وبلي به حين قال: "فهذه من جوائح الشجرة... يعرف ذلك من بلي بغرس النوى... والأنوار." إحالة دلالية موسعة. وقد ساهمت هذه الإحالة الاشارية في ربط وتفصيل وتوصيل معان المقطع النصي، بشكل تدريجي للمتلقي دون أدنى عناء في ذلك.

- **إحالة اسم الإشارة المفرد المؤنث "هذه" على سياق جملي موسع**

يحيل المؤلف باستعمال اسم الإشارة "هذه" المفرد المؤنث على سياق جملي موسع من المعاني، يمكن اجمالها تحت لفظ المشبه، إذا ما أردنا أن نتحدث عن تشبيه تمثيلي أجراه المؤلف بين حالة حكيم صانع يملك دكانا وبين حالة النفس بعد خراب الجسد. حين قال:

"اعلم أن كل حكيم صانع إذا فكر في أمره، ونظر في العواقب، علم أنه لابد يوم أن يخرب دكانه الذي هو محل بضاعته، وتنحل أنقاضه، وتكل أدواته، وتضعف قوة بدنه، وتضعف أيام شبابه. فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان، واستغنى عن السعي فإنه لا يحتاج بعد ذلك إلى دكان آخر، ولا إلى أدوات مجددة، فليجتزئ بما اقتناه، ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسب. وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد فبادر واجتهد، واحرص واستعجل، وتزود قبل خراب دكانك، وهدم بيتك، "فإن خير الزاد التقوى" (تمام الآية: "... وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى." سورة البقرة. الآية: 197.) " (ابن الخطيب، 1969م: 193- 194.)

حيث ربط بين سياقين دلاليين عن طريق اسم الإشارة "هذه" واستخدام الإحالة الاشارية ليمثل الشبه الحادث بين حالة صاحب الدكان بعد العواقب (المشبه به) وحالة النفس بعد خراب الجسد (المشبه) ليذم بذلك الكسل الذي يؤدي إلى الغفلة عن ذكر الله، ولينظر الانسان إلى نفسه قبل غروب شمسه.

- **إحالة اسم الإشارة "ذلك" على سياق الوعظ والوعيد**

يحيل المؤلف باسم الإشارة "ذلك" على سياق الوعظ والوعيد، مما يحرك العزيمة، ويحدث اليقظة، فيقول:

"كلما شد الطفل العزيمة على درة التوبة، صانعته ظئر الشهوة على ذلك بعصفور. إذا ضيق الخوف فسحة المهل، سرق الأمل حدود الجار." (ابن الخطيب، 1969م: 185.)

إحالة قبلية مكثفة بالاستعارات وهي إحالة مجازية ربط فيها بين حالة تصيب المتعظ في عزيمته، صورها بالطفولية، وضعف التوبة إلى الله، وبين مصانعة المغريات الدنيوية له كنتيجة لذلك. وكأن بالمؤلف يعظ ويحذر العابد، إذا ما ضعفت عزيمته وقلت توبته، صانعته المغريات الدنيوية على ذلك، ويختم وعظه بحكمة يضمنها مقطعا نصيا مفادها أن الخوف من الله يجعل

المتعظ يبادر في التوبة ولا ينتظر فسحة من الوقت، ولا يتردد في ذلك، ويغتنم شبابه قبل هرمه، فيتجاوز الأمل عنده في التوبة إلى الله كل المغريات الدنيوية.

- **إحالة اسم الإشارة "هذا" مرتبطا بأداة النداء "يا" إحالة موسعة**

يرتبط اسم الإشارة "هذا" الفرد المذكر القريب بأداة النداء "يا"، ويحقق معها إحالة موسعة يستدعي فيها شخصا معينا، ويخاطبه، وهو المنادى الذي يفهم من سياق الكلام، أنه المتعظ الذي يداهمه السهو والغفلة من حين لآخر، فيعرض عن ذكر ربه بالطاعات والعبادات، وفي هذا يقول المؤلف:

"يا هذا، خفي عليك مرض اعتقادك، فالتبس الشحم بالورم، وجهلت قيم المعادن، فبعت الشبه بالذهب، فسد حس ذوقك فتفكهت بحنظلة." (ابن الخطيب، 1969م: 184.)

حيث يحيل باسم الإشارة "هذا" على جملة النداء المحذوفة التي تقدر بـ"يا غافل" ويربطها بسياق الجمل التي تأتي بعدها، وهي جمل تحمل معان فيها الكثير من الكنايات عن فساد عقيدة العابد "فالتبس الشحم بالورم" وانغماسه في حب الدنيا وتفضيلها عن الآخرة "وجهلت قيم المعادن، فبعت الشبه بالذهب." واختياره للشهوات الدنيوية بدلا من العطاءات الأخروية وتسليمه بها "فسد حس ذوقك فتفكهت بحنظلة." وقد استعملها المؤلف لغرض اللوم والتحذير من غفلة في بساط اللذات، وفي ملعب الخطيئات.

- **إحالة اسم الإشارة "هؤلاء" على سياق مقطع نصي (إحالة موسعة)**

يحيل المؤلف باسم الإشارة "هؤلاء" الجمع المذكر القريب إحالة موسعة على سياق مقطع نصي من الروضة في مثل قوله:

"(والزمرة الثانية) أهل النظر، وهم ثلاثة أصناف: قوم استدلوا بالصنعة على الصانع، وقوم استدلوا بالصانع على الصنعة، وهم أشرف وأعسر، وقوم جمعوا بين الدلالتين، وإليه الإشارة بقوله: "ما رأيت شيئا إلى رأيت الله فيه أو معه أو بعده." وهو من حججهم الشهيرة: ومعرفة هؤلاء قياسية نظرية." (ابن الخطيب، 1969م: 432.)

حيث يربط بين معرفة أصناف أهل النظر الثلاثة: - وهم قوم استعانوا بمعرفة الخلق لمعرفة الخالق (ما رأيت شيئا إلى رأيت الله فيه)، وقوم استعانوا بمعرفة الخالق لمعرفة الخلق

(ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده) وقوم جمعوا بين المعرفتين (الخالق والخلق) (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه) – وهذه حجج شهيرة يحتج بها أهل هذا النظر. وبين طبيعة معرفتهم بالله والتي جعلها قياسية حسب نظرتهم المعرفية، حيث يضيف المؤلف بهذه الإحالة إلى سياق النص حكما على نوع وطبيعة معرفة أهل النظر عامة، القريب منها أو البعيد بالرغم من أن "هؤلاء" تشير إلى القريب فقط وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الإحالة، علاقة دلالية في النص.

- **إحالة اسم الإشارة "أولئك" على عنصر محدد من سياق المقطع النصي**

يحيل المؤلف باسم الإشارة "أولئك" الجمع المذكر للبعيد على عنصر محدد من سياق المقطع النصي التالي في قوله:

"فالأنبياء الهداة أولوا العزم وغيرهم من أرباب الصحائف والهدايات ووراثهم هم تلاميذ الأطباء المهرة. "ليحيى من حيى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة." (سورة الأنفال. الآية: 42.) ثم قفى على آثارهم بخاتم أطباء القلوب، وآخر أساة النفوس، ومسيطر أولئك الأطباء المثبت الماحي، الناسخ لنسخها، المقرر لصفاتها، ثم من بعده من خليفة وبدل وقطب وتفاوت الكل في العلاج بحسب الامداد والعناية والفتح والسابقة من قبل الذي أنزل الداء وأنزل الدواء -سبحانه- فقعدوا للناس يوقظونهم من نوم الغفلة. "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن." (سورة النحل. الآية: 125.) بادئين بتقرير وجود الله، ثم تقرير وحدانيته، ثم بآثاره في العلم ثم بأحكام آثاره، مصدقين أخبارهم بالمعجزة..." (ابن الخطيب، 1969م: 257- 258.)

ويربطه به مباشرة، وهو "الأطباء" في إحالة بعدية ساوى فيها بينه وبين العبارة السابقة له "فالأنبياء الهداة أولوا العزم وغيرهم من أرباب الصحائف والهدايات." وقد سبق للمؤلف أن أشار في المقطع النصي السابق لهذا المقطع، أن الأنبياء هم الأطباء "أن حاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء." (ابن الخطيب، 1969م: 256.) ولم تساهم هذه الإحالة في إضافة شيء لسياق النص الدلالي، سوى أن النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه خاتم الأنبياء (الأطباء) ومسيطرهم، ومن بعده من خليفة من بدل وقطب، حيث ساهمت في العبور إلى السياق الدلالي العام للمقطع النصي، وهو أن العارفين هم خلفاء النبي – عليه الصلاة والسلام – وأن لهم وظيفة الايقاظ من الغفلة والتوجيه إلى الجادة بالحكمة والموعظة الحسنة بإذن من الله – سبحانه – ومن هنا نستنتج ان الإحالة على عنصر معين من سياق النص لا تضيف له شيئا

من المعنى، إذا ورد ذكره في مقاطع نصية سابقة له، وإنما تساهم في عبور المعنى وانتقالها في السياق الدلالي العام للمقطع النصي.

- **إحالة اسم الإشارة "هذا" و"ذلك" متكررا في مقطع نصي واحد**

يحيل ابن الخطيب في خطاب الروضة بتكرار اسم الإشارة للبعيد منها والقريب في نحو قوله:

"أن الانسان يفارق سائر الحيوان، فإنه لا تستقيم معيشته مع انفراده، وتوليه أمر نفسه من غير شريك يعينه على ضروریاته، حتى يكون مكتفيا بآخر من نوعه، بعضه مع بعض. إذ لابد من غطاء وغداء وكن، فيكون هذا يخيط وهذا يخبز وهذا يصيد وهذا يزرع وهذا ينسج وهذا يبني وهذا يتجر. ولهذا اضطروا إلى التمدن والاجتماع، فكان الانسان مدنيا بالطبع. وبحسب استجادته لما يضطر إليه ويتزيد فيه أو بعده من الكمالات الإنسانية، يكون تفوق تمدنه على غيره.

وإذا كان ذلك كذلك فلابد في بقائه وحياته من مشاركة غيره ولا تتم تلك المشاركة إلا بمعاملة وأخذ وعطاء وإنفاق واستجارة ومشاركة فيما يستفاد بالحيلة والكد، ولم يكن في تلك المعاملة بد من حدود يوقف عندها، وشروط وعدل وسنة توضع فيها ولابد لتلك السنة والحكم والعدل من بيان ومعدل يلزم فيه ما يليق بذلك من صدق." (ابن الخطيب، 1969م: 284- 285.)

ينطلق المؤلف في هذا المقطع النصي من فكرة رئيسة مفادها أن الانسان لا يستطيع أن يعيش لوحده، ولا ينفرد بتولي أمر نفسه من غير شريك يعينه على ضروریاته عكس الحيوان، ثم ينتقل إلى تفصيل هذه الفكرة، من خلال التفريع في توزيع المعنى، معولا على الإحالة باسم الإشارة "هذا"، وقد كرره سبع مرات، حين قال: "هذا يخيط، وهذا يخبز، وهذا يصيد، وهذا يزرع، وهذا ينسج وهذا يبني وهذا يتجر." ليفرع في ضروريات الحياة، حيث ساهمت هذه الإحالة في اثراء المقطع النصي وتوضيح معناه للقارئ. ثم يحيل المؤلف كل ما فرعه من معان على فكرة ضرورة التمدن والاجتماع حين قال: "ولهذا اضطروا إلى التمدن والاجتماع، فكان الانسان مدنيا بالطبع..." فيربط المعنى السابق باللاحق، كتحصيل حاصل يفهم من توظيف الفعل "اضطروا"، ليعود في سياق النص لبناء فكرة أخرى لها علاقة بسابقتها (ضرورة التمدن)، وهي كيفية تفوق الانسان في تمدنه على غيره.

والتي جعلها في استجادته لما يضطر إليه ويتزيد فيه أو في مقدار بعده من الكمالات الإنسانية. ولا يلبث المؤلف من أن ينتهي من توضيح هذا المعنى حتى يحيله على ما بعده باستعمال اسم الإشارة "ذلك كذلك" مكررا، إحالة موسعة على السياق الدلالي لما بعه من معان، فربط بقاء الانسان وحياته بضرورة مشاركة حياته حين قال: "وإذا كان ذلك كذلك، فلابد في بقائه وحياته من مشاركة غيره"، وانتهى به الأمر بالتفصيل في طبيعة المشاركة ونوعها وكيفيتها وشروطها ليعلمنا في الأخير أنها تحتاج إلى بيان ومعدل يلزم فيه ما يليق بالمشاركة من صدق. ونخلص في النهاية إلى أن الإحالة ساعدت السياق الدلالي في هذا المقطع النصي على استمرارية المعنى وتوفر شروط إيضاحها وبلوغ مرامها، من خلال عملية تمفصلها من بداية المقطع إلى غايته النهائية.

- **إحالة اسم الإشارة مشتركا مع الضمائر والاسماء الموصولة على سياقات دلالية مختلفة**

يشارك اسم الإشارة في احالاته داخل خطاب "الروضة" الضمائر والأسماء الموصولة في مثل قول المؤلف:

"وعلاج هذه الجوائح - إذا طرقت – الاستقامة، والمحافظة على ما تقرر من أصل هذه النحلة، واتباع المعصوم، والاقتداء به، فهو إمام هذا الفلاح، الذي هو سبيل الله، وطبيب شجرة محبة الله، والمتحدي بالكتاب المتضمن علاج العلل، وبلوغ الأمل إعطاء صورة العلم والعمل." (ابن الخطيب، 1969م: 705.)

يخبرنا المؤلف في القسم السادس من كتاب "الروضة" أن الشجرة الحبية لها جوائح تطرقها من نسبتها، وعوائق من قبل هوائها ومائها وتربتها، وأن هذه الجوائح صنفان: أحدهما غفلة الفلاح، والثانية أضرار الرياح.

وللجوائح علاج، يتمثل في الاستقامة، والمحافظة على قيم ومبادئ هذا التوجه، والامتثال والاقتداء بسيد الخلق، رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه إمام الفلاح الذي يرعى الشجرة المباركة، حيث يربط بين الإمام والفلاح بإحالة اسم الإشارة "هذا" على لفظ "الفلاح" إحالة مباشرة (فهو إمام هذا الفلاح) حتى يقنع القارئ بفكرة الاقتداء بسيد الخلق كعلاج لجوائح الشجرة الحبية، ثم يحيل باسم الموصول "الذي" على ما قلبه (هذا الفلاح) مستعملا الفصل

بين الجملتين (فهو إمام هذا الفلاح، الذي هو سبيل الله...) حيث يرتبط "الذي" بـ "الفلاح" مباشرة، وينوب عنه في الجملة الثانية، (الفلاح هو سبيل الله...)، ومنه تكون الإحالة باسم الموصول ساهمت في استئناف المعنى بعد فصله، والانتقال من السياق الدلالي إلى آخر – من علاج الجوائح إلى الفلاح الذي هو سبيل الله... – ويحيل بالضمير "هو" على ما قبله "الذي" أي على "الفلاح" ليربط بين الجملتين "الفلاح" "هو سبيل الله" ثم يعطف باقي جمل المقطع النصي بنفس الطريقة على "الفلاح" ليخبرنا عن صفاته ووظائفه التعبدية.

وبذلك ساهمت الإحالة الثلاثية (هذا+ الذي+ هو) على الانتقال من سياق دلالي إلى آخر، بأسلوب مباشر سلس، سهل عملية فهم المعنى لدى المتلقي، وأكسب المقطع النصي أسلوبا بسيطا خالي من أي تعقيد.

نتائج البحث

بناءا على ما سبق من تحليلات لأنواع الإحالات الواردة في خطاب "الروضة" رصدنا ما يلي من النتائج:

أحال المؤلف في خطاب "الروضة" بالضمائر وبالأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، وقد تميزت بما يلي:

- ورود الضمائر المتصلة فواصلا لأسجاع أكسبها تواشجا وانتظاما، وفي الوقت نفسه أحالت على عناصر من السياق الدلالي للخطاب مما زاد من اتساقه وتماسك معانيه.
- تحيل الضمائر على عناصر محددة من السياق على الغالب، كما يمكن لها أن تحيل على سياقات دلالية تتعدى الجملة، وخاصة عندما تحيل مركبة مع الاسم الموصول، حيث تحيل عليه وما جاء قبله من عناصر سياقية دلالية.
- تحيل الأسماء الموصولة بنفس تقنيات الإحالة بالضمائر، ويمكن لها أن تحقق إحالات موسعة على سياقات دلالية، عندما تشترك مع الضمائر، فتحيل على الضمير وما جاء قبله من وحدات لغوية.
- وتحيل أسماء الإشارة بنوعيها – القريبة والبعيدة – على الوحدات اللغوية دون أن تأثر في الوظيفة الدلالية للإحالة أي أنها لا تحيل دائما على ما يتناسب معها من حيث دلالاتها المسافية.

- وغالبا ما تحيل أسماء الإشارة بنوعيها على احالات موسعة من السياق الدلالي تتجاوز الجملة والفقرة، وتتعداها، ما عدا "أولئك" التي تحيل على عنصر محدد من السياق.

ويحيل اسم الإشارة "ذلك" على سياقات متعددة منها الوعظ والوعيد. ترتبط الضمائر ما الأسماء الموصولة، وتحيل على عنصر مشترك من السياق الدلالي للمقطع النصي، كما ترتبط الضمائر بأسماء الإشارة وترتبط أسماء الإشارة بالأسماء الموصولة، فتشكل إحالات مضاعفة، لها دور في توزيع المعنى وتوجيهه. وترتبط الضمائر مع الأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وتحيل جميعها على عنصر واحد مشترك بينها من السياق الدلالي، فتشكل معا إحالة ثلاثية.

وردت الإحالة في خطاب الروضة على ثلاث أشكال:

- إحالة على لفظ مفرد: يتطابق فيه طرفا الإحالة جنسا وعددا، ولا يفهم معناه إلا بالرجوع إلى دلالته السياقية، أي ربطه بما يسبقه أو يلحقه من المعاني.
- إحالة على مركب لفظي: يرتبط فيه المحيل مع نواة المركب أو ينشئ علاقة مع أحد مركباته، وتساهم الإحالة في اثراء السياق الدلالي العام بطرق مختلفة، حسب المقام، وطبيعة الخطاب.
- إحالة على مقاطع نصية: يرتبط فيها المحيل مع مقاطع سابقة أو لاحقة له في الخطاب، ويحيل على سياق دلالي موسع وغني بالمعني، التي تفتح مجالات القراءة والتأويل عند المتلقي.

أحال المؤلف على سياقات دلالية مختلفة نذكر منها:

- الإحالة على سياقات دلالية فيها تضمين لآية قرآنية أو حديث نبوي شريف، أو حكمة أو مثل من أمثال العرب.
- الإحالة على سياقات دلالية في استطراد للمعاني بشكل مكثف، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالقسم الرابع والخامس من كتاب "الروضة"، حيث يكثر من التقسيم والتفريع، ويحشد النصوص بالمعلومات.
- الإحالة على سياقات دلالية يقتبس فيها من آي القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو من كلام العرب.
- الإحالة باسم الإشارة "ذلك" على سياقات موسعة من الأمثال في ذم الكسل.

- الإحالة على سياقات دلالية موسعة من التشبيهات التمثيلية، لإبراز العلاقة بين طرفي الإحالة، والإحالة على سياقات مشبعة بالاستعارات والكنايات أيضا.

الإحالة على سياقات موسعة من اللوم والتحذير من غفلة في بساط اللذات وفي ملعب الخطيئات، من خلال اقران أداة النداء "يا" باسم الإشارة "هذا" "يا هذا". الإحالة على سياقات تعقيبية، يستعمل فيها المؤلف الفاء التعقيبية لغرض تفسير وتعقب معانيها المحالة على بعضها البعض. الاحالة على سياقات موسعة من النصوص التعليمية التلقينية، والتي يغلب عليها استعمال الجمل الاسمية، التي غالبا ما تحيل على معلومات جديدة تثري سياقها الدلالي على العموم.

تكشف الإحالة في خطاب "الروضة" عن وجود علاقة سببية بين طرفيها مما يساهم في توليد المعنى وتكاثرها، ويتجلى ذلك في الكثير من النماذج المدروسة سابقا.

ترتبط الإحالة بمقام الخطاب الصوفي، مثلما ترتبط بسياقه الدلالي العام، ذلك لأن المقام في الخطاب يحيل على حيثياته، ويتناسب مع ألفاظه الصوفية الروحانية التي تحمل الكثير من المواجيد الظاهرة منها والباطنة، ولذلك وجب علينا أن نقف على المقام قبل أن نصل إلى المعنى الذي تضفيه الدلالة السياقية على المقاطع النصية لخطاب "الروضة".

إن الإحالة في خطاب "الروضة" لا تحتكم إلى القواعد التركيبية (الصرفية) في انشاء علاقتها بين طرفيها (المحيل والمحيل عليه) دائما، بل تستند إلى المعنى داخل سياق الخطاب على الأغلب ومن أمثلة ذلك إحالة المفرد على الجمع في الضمائر (الحواس الخمس، وهي: ...) وإحالة المفرد على المثنى في أسماء الإشارة (تلك اليدين).

تساهم الإحالة في خطاب "الروضة" بمختلف أنواعها في انتقال المعنى داخل المقطع النصي في إطاره العام، وتعمل على ربط الجمل وبناء المعنى فيها، بالانتقال من العام إلى الخاص، أو العكس، أو الاستئناف أو التفريع، أو استمرارية أو تفصيل أو تكون محل عبور من سياق دلالي إلى آخر في إطاره العام، ويرافق عملها الدلالي السياقي عناصر لغوية تأسس معها مداخل لتوسيع بؤرة المعنى وفتق رتقها، في تكامل شامل مشترك مثل الوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والفاء بمختلف أنواعها، والتكرار، والاستبدال والحذف.

References

[1] Al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyat Warsh 'an Nāfi'. (1427h-2006m). Dār Ibn Kathīr. Wa-Dār al-Qādirī. Dimashq. Bayrūt.

[2] Ibn manẓūr Lisān al-'Arab. (1119m) qaddamahu 'Abd Allāh l'lāyly. Dār al-Jabal. Bayrūt. Lubnān.

[3] Aḥmad Riḍā. (1377h-1957m). Mu'jam matn al-lughah. Dār Maktabat al-ḥayāh. Bayrūt. Lubnān.

[4] Aḥmad al-Mutawakkil. (1431h-2010m). al-khiṭāb wa-khaṣā'iṣ al-lughah al-'Arabīyah. Dirāsah fī al-waẓīfah wa-al-binyah wālnmṭ. Manshūrāt al-Ikhtilāf. Al-Jazā'ir.

[5] Aḥmad 'Afīfī: al-Iḥālah fī Naḥwa al-naṣṣ. Kullīyat Dār al-'Ulūm. Jāmi'at al-Qāhirah. Naḥwa al-naṣṣ. (2001M). ittijāh jadīd fī al-dars al-Naḥwī. Maktabat Zahrā' al-Sharq. Al-Qāhirah. Miṣr.

[6] Azhar al-Zannād. (1993M). Nasīj al-naṣṣ. Al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī. Bayrūt.

[7] Bashīr abryr istirātījīyah al-insijām fī qirā'ah al-naṣṣ al-Adabī. (Qiṣṣat sīrat 'Azzām. Dumū' al-bay') namūdhajan. Maqāl. Ma'had al-lughah al-'Arabīyah wa-ādābihā. Jāmi'at 'Annābah. Al-Jazā'ir.

[8] J b. Brāwn / J ywl. (1418h-1997m). tarjamat D. Muḥammad Luṭfī alzlyṭy Wad. Munīr al-Turaykī. Jāmi'at al-Malik Sa'ūd. Al-Riyāḍ. Al-Mamlakah al-'Arabī al-Sa'ūdīyah.

[9] Lisān al-Dīn ibn al-Khaṭīb al-Salmānī. (1969m). Rawḍat al-ta'rīf bālḥb al-Sharīf. 'āraḍahu bi-uṣūlihi, wa-'allaqa ḥawāshīhi wa-qaddama la-hu. Muḥammad al-Kattānī. Dār al-Thaqāfah. Al-Dār al-Bayḍā'. Al-Maghrib.

[10] Majd al-Dīn al-Fayrūzī Ābādī. (1371h-1952m). Qāmūs al-muḥīṭ. Maṭba'at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī. Miṣr.

[11] Muḥammad Khaṭṭābī. (1991m). Lisānīyāt al-naṣṣ, madkhal ilá insijām al-khiṭāb. Al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī. Bayrūt. Ṭ1.

[12] Ṣubḥī Ibrāhīm al-Fiqī. (1431h-1952m). 'ilm al-lughah al-naṣṣī bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq. Dirāsah taṭbīqīyah 'alá al-suwar al-Makkīyah. Dār Qibā' lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.